(جوالب العافية بالاستغفار دراسة تأصيلية من الكتاب والسُّنَّة)
العافية: (الدينية، والنفسية، والبدنية، والاجتماعية، والبيئية، والاقتصادية)

د. علي مفتاح الشنيبي
الهيئة الليبية للبحث العلمي

مقدمة

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التَّوب، والصلاة والسلام على سيد المستغفرين وإمام التائبين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين وبعد، مما لا يتطرق إليه الشّك، ونؤمن به إيماناً راسخا، أنّ كل أوامر الله تعالى، وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، تجلب للبشرية جمعاء أفراداً وجماعات، بل وللحيوانات والجمادات– العافية والسلامة والنفع في الدنيا والآخرة، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، فأوامر الله ورسوله الآمرة بالفعل تَجْلُبُ للمأمور العافية والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأوامر الله ورسوله الآمرة بالترك تَسْلُبُ عن المأمور العقوبات والآفات والبلايا والفتن في الدنيا والآخرة، والعكس صحيح.

ومن هذه الأوامر الربَّانية والنبوية الجالبة للعافية في شتى مناحي الحياة، **الأمر بالاستغفار**، فقد ورد الأمر بالاستغفار في القرآن الكريم في مواضع كثيرة سيأتي بيانها والحديث عنها.

والاستغفار في أصل اللغة استفعال، يعني، طلب الستر والوقاية، ومنه المِغْفَر وهو قبّعة تنسج من الدروع على قَدر الرأس؛ لغرض ستر الرأس من حرارة الشمس، ووقايته من الضرب في الحرب[1].

ومن المعنى اللغوي السابق للاستغفار، أُخذَ **المعنى الشرعي**، وهو: طلب الستر والوقاية، أي: أَنْ يستر الله على المُستغفِر ذنوبه في الدنيا والآخرة، ولا يعاقبه بها في الدنيا والآخرة.

[1] – ينظر: الصحاح، الجوهري، 771/2 (غفر).

والجوالب: هي الجَلُوبَةُ جمع جَالِبٍ، وهو الذي يأتي بالشيء أو يُصدِرُه بكثرة[1]. ونقصد به هنا: الأوامر الشرعية (الكتاب والسنة) التي تجلب لمن انقاد إليها أنواع العافية المختلفة الدينية منها والدنيوية، كما سيأتي بيانه في ثنايا البحث.

ويُقصد بالعافية: العافية من آفَات الدُّنْيَا وأهوال الْآخِرَة كما قال ابن قتيبة[2]، أي: الوقاية والسلامة مما يحذره الإنسان في دنياه وأُخراه، وفي الحديث: "أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ"[3].

ونهدف من هذه الدراسة: ببيان أنّ في طاعة الأوامر الشرعية (الكتاب والسنة) جوالب كثيرة جداً للعافية التي ينشدها الإنسان في أمور دينه ودنياه، وفقد أنواع العافية المختلفة في حياة الإنسان تُلْجِئه إلى المنظومات الصحية التي أرهقت كاهل المرضى في معالجة أمراضهم بالتكلفة المالية التي لا قبل لهم بها، وكاهل أوضاعهم النفسية بالترقب والخوف من الإصابة بالمرض؛ لأنه عاجز عن دفع أثمان الكشف والعلاج والدواء، وعلى الرغم من التكاليف العالية جداً للمنظومة الصحية، لا تقدم هذه المنظومة حلولا حقيقية للمرضى، وإنما هو: تشخيصٌ للمرض ومطاردة للمرض ليس إلاَّ– كما يقول الأستاذ الدكتور الليبي/ عبد الباسط بوحميدة، كبير الباحثين بمركز التميز البحثي في علوم الجينوم الطبي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة. فهذا شاهد من أهلها، ومن وسط المنظومة الصحية، وخبير في أمراض الأورام، عافانا الله وإياكم[4].

---

[1] – ينظر: المعجم الوسيط، 128/1، (باب: الجيم).

[2] – غريب الحديث، ابن قتيبة، 580/1.

[3] – صحيح مسلم، 20/7، رقم (2202).

[4] – تجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور عبد الباسط بوحميدة، يقود مشروعاً ضخماً يُعزِّزُ جوانب العافية المختلفة في حياة الإنسان، سماه: مشروع (تعزيز العافية النفسية والمجتمعية)، بناه على شجرة العافية التي تتفرع منها عدة فروع منها: العافية الدينية، والعافية الروحية، والعافية النفسية، والعافية البدنية، والعافية الاجتماعية، والعافية البيئية، والعافية السياسية، والعافية الاقتصادية وغيرها. له عدة أبحاث في هذا الجانب منها: (الثورات الثلاث ما لها وما عليها)، و(زراعة اللحوم)، و(حركة الهدوء الكبير)، وغيرها.

ومن بركة الاستجابة للأوامر الشرعية، أنها تعزز عافية الإنسان في شتى مناحي الحياة، فهي تجلب له: العافية الدينية، والعافية الروحية، والعافية النفسية، والعافية البدنية، والعافية الاجتماعية، والعافية البيئية، والعافية السياسية، والعافية الاقتصادية وغيرها.

وفي هذه الدراسة سنتناول موضوع (الاستغفار وجوالب العافية) في أربعة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: مفهوم الاستغفار في القرآن الكريم، والسنَّة النبوية.

المبحث الثاني: متطلبات الاستغفار.

المبحث الثالث: جوالب العافية الدينية من الاستغفار.

المبحث الرابع: جوالب العافية الدنيوية من الاستغفار.

المبحث الأول: مفهوم الاستغفار في القرآن الكريم والسنة النبوية[1].

سبق القول أنّ الاستغفار يعني: طلب الستر والوقاية من آثار الذنوب والمعاصي في الدنيا والآخرة، وأن يستحضر المُستغفر هذا المعنى حال استغفاره، وأنَّ الله –سبحانه وتعالى– أمره بالاستغفار، وكذلك نبيه صلى الله عليه وسلم أمره بذلك، في مواضع كثيرة من القرآن والسنة النبوية بصيغ متعددة كما سيأتي، كما أنّ استحضار آثار وفوائد الاستغفار حال استغفار العبد، يكون له بالغ الأثر في جلب العافية بأنواعها المتعددة كما سنبينها في المبحث الثالث والرابع بإذن الله تعالى، وفيما يلي نستعرض إحصائية لمادة (غَفَرَ) وتصريفاتها في القرآن الكريم:

أولاً– وردت كلمة (غفر) وتصريفاتها في القرآن الكريم (٢٣٤) مرة تقريبا وهي:

– الفعل الماضي: ورد (٩) مرات، كقول الله تعالى:

---

[1] – أفدتُ مادة وإحصائية هذا المبحث من: "موسوعة التفسير الموضوعي (الاستغفار)"، 3/ 76–86، والأوامر والنواهي في القرآن الكريم"، سامر محمد محمد، ص/ 70– 71، و موقع (مع الله) https://maa–allah.com.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[النساء:٦٤]

– **الفعل المضارع:** ورد (٦٠) مرة، من أمثلته قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣].

– **الفعل الأمر:** ورد (٣٦) مرة، منها قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف:٩٧].

– **اسم الفاعل:** ورد (٣) مرات، كقوله تعالى: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران:١٧].

– **صيغة المبالغة:**

وردت (٩٦) مرة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 173].

– **المصدر السماعي:** ورد مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

– **المصدر الميمي:** ورد (٢٨) مرة، منه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

– **المصدر:** ورد مرة واحدة، في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ [التوبة:١١٤].

وهناك ألفاظ أخرى غير الاستغفار والمغفر ورد ذكرها في القرآن الكريم تتضمن معنى الاستغفار والتجاوز عن الذنوب والمعاصي، وعدم المؤاخذة بها منها:

– **التوبة:** وهي الرجوع إلى الله تعالى، وترك المعصية والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها، وإرجاع الحقوق لأهلها إنْ كان الذنب متعلق بحقوق العباد، منه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:117].

– **العفو:** وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، منه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: 30].

– **الرحمة:** وهي التعامل بالحسنى والرفق واللين والرأفة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:156].

– **التكفير:** وهي محو السيئات وعدم المؤاخذة بها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: 5](1).

ثانياً– وردت كلمة (غفر) في السنة النبوية بصيغ متعددة منها(2):

قوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ "(3).

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً "(4).

وقال أيضاً: " رَبِّ اغفِر لي وتُب عليَّ، إنَك أنتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ "(5).

وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "(6).

---

1 – ينظر: "الأوامر والنواهي في القرآن الكريم"، سامر محمد محمد، ص/ 70– 71، و موقع (مع الله) https://maa-allah.com

2 – أفدتُ إحصائية هذه الأحاديث من كتاب: "الأوامر والنواهي"، الحسين بن مبارك الموصلي (ت 742هـ)، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ص/ 51– 52.

3 – صحيح مسلم، 2075/4، رقم (2702). قال مُحققه محمد فؤاد عبد الباقي: **(لَيُغَانُ)** قال أهل اللغة الغين والغيم بمعنى واحد والمراد هنا ما يتغشى القلب قال القاضي قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه فإذا افتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه.

4 – صحيح البخاري، 67/8، رقم (6307).

5 – رواه أبو داود في "سننه"، 85/2، رقم (1516)، والترمذي في "سننه"، 494/5، رقم (3434) بلفظ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ"، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

6 – أخرجه أبو داود في "سننه"، 85/2، 1518، والبيهقي في "السنن الكبرى"، 490/3، رقم (6421)، والحديث ضعفه البغوي في "شرح السنة" ،100/3، والذهبي في "المهذب"، 1278/3.

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ "[1].وعن ابن مسعود– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ "[2] وعن شداد ابن أوس–رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: " وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ "[3].

المبحث الثاني: متطلبات الاستغفار:

بيَّن القرآن الكريم في مواضع عديدة، ما يتطلّبه الاستغفار؛ لتكون هذه العبادة ناجعةً وجالبةً للعافية بصورها المتعددة، ولابد من أن يأتي بها المُستغفر ويستحضرها ويستصحبها، ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً– **ركائز الاستغفار:**

1– المغفرة من الله وحده: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 99]، وقال: ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ [البقرة 268]، وقال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: 49].

2– الأمر بالاستغفار: قال الله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المزمل: 20]، وقال: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 106]، وقال: ﴿ وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: 133].

---

[1] – صحيح مسلم، 2106/4، رقم (2749).

[2] – رواه أبو داود في "سننه"، 85/2، رقم (1517)، والحديث قال عنه الحاكم في "المستدرك"، 692/1، رقم (1884): " هذا حديثٌ صحيح على شرط الشَّيخين، ولم يخرّجاه ".

[3] – صحيح البخاري، 67/8، رقم (6306).

3- الاستغفار يكون للنفس وللغير: قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: 151]، وقال: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: 10].

4- قبول الاستغفار يرتبط بالتوبة والعمل الصالح: قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[النحل: 119]، وقال:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: 82]، وقال:﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: 5].

5- الاستغفار المقبول يرتبط بمشيئة الله: قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفتح: 14]، وقال: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: 24]، وقال: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: 284].

6- قبول الاستغفار يكون للمؤمنين والمتقين: قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 9]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: 12].

7- قبول الاستغفار يكون للكافر إذا أسلم و حسن إسلامه: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: 38].

8- لا يقبل الله استغفارا من مشرك أو فاسق: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 116]، وقال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 80]، وقال:﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[المنافقون: 6].

9-لا يُستغْفرُ للمشركين والمنافقين والفاسقين: نهى الله سبحانه في كتابه الكريم، نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنينَ عن الاستغفار للمشركين والمنافقين والفاسقين، نهيًا تتجلى فيه صورة البراءة من الشرك والمشركين؛ مهما كانت صلتهم بالمؤمن، وحبهم له، وحرصهم على سلامته، والدفاع عنه. وقد كان فريقٌ من المنافقين يطمعون في استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم؛ مع علمهم بكفر بواطنهم؛ ليموهوا على المسلمين أنهم مسلمون مؤمنون، فأعلن الله سبحانه أن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلًا للاستغفار، وأنه صلى الله عليه وسلم لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وقال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[التوبة:٨٠][1]

ثانياً – صيغ الاستغفار:

ورد الاستغفار في القرآن الكريم بصيغ عديدة جاءت على ألسنة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وصيغ الاستغفار الواردة في القرآن الكريم من أفضل الصيغ وأكملها وأجمعها للمعاني الموجبة لغفران الذنوب نحو: (اغفر لنا)، (وارحمنا)، (فاغفر لنا ذنوبنا) وغيرها، والمُتأمِّلُ في صيغ الاستغفار في القرآن الكريم، يجد أغلبها صُدِّرَ باسم الرب، و الاستغفار المتضمن الثناء فإنه صُدِّرَ بـ (ربِّ، وربّنا)؛ وسِرُّ ذلك أن الله تعالى يُسْأَلُ بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويُثنى عليه بألوهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العُلَى، والأسماء الحسنى[2]، ومن أمثلة ما تقدَّمَ:

قول الله تعالى:﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

[1] – ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 3/76- 86.

[2] – ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 3/87- 88.

وقوله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران: 147].

وقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: 118].

وقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[آل عمران: 16].

وقوله: ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: 8].

وقوله: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: 28].

وقوله: ﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: 193].

ثالثاً- دواعي الاستغفار:

الاستغفار واجب على العبد في كل حين وفي كل وقت؛ لأن العبد لا ينفك عن اقتراف الأخطاء، فهو بحاجة ماسة إلى الاستغفار، لكن هناك أحوال يتأكد فيها الاستغفار، وتجب فيها التوبة فوراً، ولا ينبغي التسويف فيها أو التأخير؛ لأن العبد ربما أدركه الموت وهو لم يستغفر من خطيئته، ولم يقلع عن معصيته، فعليه عدم التأخر[1]، ويمكن ذكر أهم دواعي الاستغفار في الآتي:

1-عند ارتكاب الفاحشة، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135].

2- عند ظلم النفس، أو ظلم الآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [النساء: 64]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء: 110].

[1] - ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 3/91- 95.

3- الضَلال، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 149].

4- التقصير في أداء الفرائض والواجبات، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:199]، وعنْ ثوْبانَ -رضي الله عنه- قَال: " كَانَ رسولُ اللَّهِ □ إذا انْصرفَ مِنْ صلاتِهِ، استَغْفَر اللَّه ثَلاثًا "[1].

5- من أجل جلب مرغوب، ودفع مكروه، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: 87-88][2].

رابعاً- الأوقات المفضلة للاستغفار:

لا شك أن هناك أوقاتاً أرجى من أوقات، ومواطن أبلغ في الإجابة وأقرب إليها من مواطن، ومن هذه الأوقات والمواطن المفضلة للاستغفار ما يلي:

1- عَقِب الذنب: وهو من المواضع التي يستحب فيها الاستغفار ويشرع، بل ويجب، وهو هنا اعتراف من العبد بالذنب، وسؤال الله أن يمحو أثره ولا يعاقبه به، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135]، وقال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 110]، وقال على لسان آدم -عليه السلام- وزوجه حينما عصيا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23]، وحين قتل موسى -عليه السلام- رجلًا لم يؤمر بقتله، ذكر الله مقاله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[القصص: 16][3].

---

[1] - أخرجه مسلم في "صحيحه"، 414/1، رقم (591).

[2] - ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 91/3- 95.

[3] - ينظر: المرجع السابق، 89/3.

2- عقب الطاعات:

كأمر الله عباده بالاستغفار بعد الفراغ من الحج، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 199].

3- وقت السَّحر:

قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: 17] ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 18]. وخص وقت السّحر بالذكر؛ لأنه وقت الغفلة ولذّة النوم، ولأنه زمن القبول، ووقت إجابة الدعاء[1].

خامساً- أصناف المستغفرين:

عرض القرآن الكريم أصناف المستغفرين؛ لنقتدي بهم، ونسلك سبيلهم في عبادة الاستغفار، فهم الصّفوة الذين شرَّفهم الله بذكرهم في كتابه العزيز، وفيما يلي ذكر أصنافهم:

١- استغفار الملائكة:

أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه سخر ملائكته للاستغفار للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[غافر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾[الشورى: ٥][2].

٢ – استغفار الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام–:

ذكر الله جل جلاله استغفار الأنبياء والرسل –عليهم السلام– في القرآن الكريم، ومسارعتهم إلى طلب المغفرة، وسرعة استجابة الله لهم وهم، قال الله تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الأعراف: 23].

---

[1] – ينظر: "الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية "، ابن علّان الصديقي الشافعي، 272/7، نقلاً عن المرجع السابق.

[2] – ينظر: "تفسير ابن عطية"، 547/4.

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[هود: ٤٧].

وقال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: ٢٨].

وقال: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[إبراهيم: ٤١].

وقال: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: ٥].

وقال تعالى على لسان نبي الله موسى –عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[القصص: 16].

وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: 151].

وقال تعالى على لسان سليمان –عليه السلام– ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[ص: 35].

وذكر عن داود –عليه السلام–: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[ص: 24].

وذكر استغفار يعقوب –عليه السلام– لأولاده: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[يوسف: 97–98].

وقال على لسان شعيب–عليه السلام–: ﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: 90].

وجاء على لسان نبي الله صالح –عليه السلام–: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: 61].

وورد الأمر له صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لنفسه في القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد:19].

و﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦].

و﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

و﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥].

وأمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لأصحابه فقال تعالى:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩][1].

3- استغفار المؤمنين من الأمم السابقة

أ – استغفار الربانيين من الأمم الماضية في مواجهة أعداء الله في أرض المعركة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧]

ب – استغفار السحرة الذين آمنوا بموسى –عليه السلام– قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٠–٥١]، و ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧]، وهذا خبر يتضمن طلب المغفرة من الله سبحانه[2].

2- استغفار المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلته في القرآن ما يلي:

أ – استغفار المؤمنين خوفًا من محاسبة الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ

[1] – ينظر: "تفسير القرطبي"، 313/18، و"تفسير أبي السعود"، 213/4، و "فتح القدير"، الشوكاني، 302/5، نقلاً عن "موسوعة التفسير الموضوعي"، 98/3.

[2] – ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 102/3– 103.

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ب – استغفار المؤمنين من أجل تخفيف الأحكام، قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٨٦][1].

3– استغفار المؤمنين المتقين:

ورد استغفار المؤمنين في عدة مواضع من القرآن الكريم ؛ منها قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[آل عمران: ١٦]، وتوجه عباد الله المتقين إلى الله متوسلين إليه بربوبيته وبأعظم أعمالهم الصالحة – وهي إيمانهم به وبما شرعه لهم–؛ لتحقيق مطلوبهم، فامتدحهم بطلبهم مغفرته ورحمته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾[المؤمنون: ١٠٩][2].

المبحث الثالث: جوالب العافية الدينية من الاستغفار.

إنَّ شريعة الله جاءَتْ بما فيه صَلاح البلاد والعباد، وما يجلب لهم عافيتهم في أمور دينهم ودنياهم، جاءتْ بالحثِّ على كلِّ خيرٍ، والتحذير من كلِّ شر، فكلُّ خيرٍ قد حثَّنا المولى عليه، وكلُّ شرٍّ حذَّرنا منه، وممَّا حثَّنا عليه: الاستغفار؛ فقد جاءَتْ نصوصٌ كثيرةٌ من الكتاب والسُّنة بالحثِّ عليه، والترغيب فيه، ومدح أهله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 199]، وقوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: 3]. وقوله: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: 17]، وقوله: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 18]، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 135]، وقوله: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ

[1] – ينظر: "البحر المحيط"، أبو حيان، 709/2، نقلاً عن المرجع السابق.

[2] – ينظر: "موسوعة التفسير الموضوعي"، 104/3.

يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 110][1]. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ "[2]، وقال أيضاً: " أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَتُوبُوا إِلَيْهِ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَوْ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ "[3]، وليس في الحديث الأول، التساهُل في الوُقوع في الذنب، ثم الاستغفار بعد ذلك؛ وإنما فيه بَيانٌ لحالة العبد بعد توبته واستغفاره من الذنب، وأنَّه إذا أذنَبَ فقد جعَل الله له مخرجًا من ذلك بالتوبة والاستغفار[4]. وفيما يلي ذكرٌ لجوالب العافية الدينية من الاستغفار:

أولاً: الاستغفار يجلب الاستجابة لنُصوص الكتاب والسنَّة والتَّعبُّد لله به:

إنَّ أكبر وأعظم عافية دينية تُستجلب بالاستغفار، الاستجابة والطاعة لأوامر الله ورسوله، التي جاءت بالحثِّ على الاستغفار، وكذلك الاقتداء والتأسِّي بأنبياء الله ورُسُلِه؛ فإنهم كانوا يُكثِرون من التوبة والاستغفار، وكذلك التشبُّه بكلِّ عبدٍ صالح مُستغفِر، فنصوص الكتاب والسنة كثيرة جداً في مدح المستجيبين لأمر الله–عز وجل– وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم[5]، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:172]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [الشورى:26].

---

[1] – ينظر: موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm مقال لعبده قايد الذريبي.

[2] – صحيح مسلم، 2106/4، رقم (2749).

[3] – رواه الطبراني في "الدعاء"، ص/514، رقم (1832).

[4] – ينظر: موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm مقال لعبده قايد الذريبي.

[5] – ينظر: موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm مقال لعبده قايد الذريبي.

وقال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ "[1]،الحديث، وقال أيضاً: " مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى "[2].

والمستغفر يتعبَّد لربِّه – عزَّ وجلَّ – ويقرُّ له بصفة الغفَّار: فهو يستَشعِر معنى قوله – تعالى –: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: 82]، ويستَشعِر كذلك جميعَ الآيات التي وعَد الله أو أخبر أو سمَّى أو وصَف نفسَه بالمغفرة والغفور والغفار، ويستَشعِر كذلك حديث أبي هُرَيرة – رضِي الله عنه – قال: سمعتُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ – أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ "[3].

ثانيا: الاستغفار يجْلُبُ إجابة الدعاء بأمور الآخرة:

قال – تعالى – على لسان نبيه صالح – عليه السلام – أنَّه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: 61]، فوعَد الله مَن استغفرَه وتابَ إليه بإجابة الدُّعاء، وشواهد ذلك في التاريخ كثيرة[4].

ثالثاً: الاستغفار يجلب شمول الرحمة والمودَّة الربانية:

---

[1] – أخرجه البخاري في "صحيحه"، 50/4، رقم (2957).

[2] – المرجع السابق، 16/9، رقم (7137).

[3] – المرجع السابق، 145/9، رقم (7507).

[4] – ينظر: موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm مقال لعبده قايد الذريبي.

فهذا نبي الله شعيب – عليه السلام – يقول لقومه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: 90].

قال الطبري – رحمه الله –: " ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ ارجعوا إلى طاعته، والانتهاء إلى أمره ونهيه،﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ ﴾ رحيم بِمَن تاب وأناب إليه أنْ يعذِّبه بعد التوبة﴿ وَدُودٌ ﴾ [هود: 90] ذو محبَّة لِمَن أناب وتاب إليه يودُّه ويحبُّه "[1].

رابعاً– الاستغفار يجْلُبُ إفساد عمل الشيطان وهلاكه:

عن أبي سعيد الخدري – رضِي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَهُ اللهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي "[2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: إنَّ إبليس قال: " أَهْلَكْتُ بني آدمَ بالذُّنوبِ، وأَهْلَكُونِي بالاستغفار وبـلا إله إلا الله، فلمَّا رأيتُ ذلك بَثَثْتُ فيهم الأهواء، فهم يُذنِبونَ ولا يتُوبونَ؛ لأنَّهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنونَ صُنْعاً "[3]. فإذا ظفر منه بهذه صَيَّره من دعاته وأمرائه، فإن أعجزَته ألقاه في الثالثة، وهي الكبائر، فإن أعجزَته ألقاه في اللَّمَم، وهي الرابعة، وهي الصغائر، فإن أعجزَته شَغَله بالعمل المفضول عما هو أفضلُ منه، ليَرْبَح عليه الفضلَ الذي بينهما؛ وهي الخامسة، فإن أعجزه ذلك صار إلى السادسة، وهي تسليطُ حزبه عليه يؤذونه ويشتمونه ويَبْهَتونه ويرمونه بالعظائم؛ ليَحْزُنَه ويشغلَ قلبه عن العلم والإرادة وسائر أعماله. فكيف يمكنُ أن يحترز منه من لا علم له بهذه الأمور، ولا بعدوِّه، ولا بما يحصنُه منه؟! فإنه لا ينجو من عدوِّه إلاَّ من عرفه وعرفَ

---

[1] – "تفسير الطبري"، 456/15

[2] – أخرجه أحمد في "مسنده"، 344/17، رقم (11244)، قال محققه، شعيب الأرنؤوط وآخرون: "حديث حسن"، وأخرجه الطبراني في "الأوسط"، 333/8، رقم (8788)،

[3] – ينظر: "مفتاح دار السعادة"، ابن قيم الجوزية، 309/1. قال محققه، عبدالرحمن بن قائد: " أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة"، 1/ 40، وأبو يعلى في "مسنده"، 1/ 123، من حديث أبي بكر الصديق مرفوعًا بإسنادٍ شديد الضعف. وانظر: "تفسير ابن كثير"،775/2، و"مجمع الزوائد" للهيثمي،10/ 207، و"إتحاف الخيرة" للبوصيري، 7/ 422 ".

طرقَه التي يأتيه منها وجيشَه الذي يستعينُ به عليه، وعرفَ مداخلَه ومخارجَه، وكيفيَّةَ محاربته، وبأي شيء يحاربه، وبماذا يداوي جِراحتَه، وبأيِّ شيءٍ يُسْتَمَدُّ "[1].

خامساً- الاستغفار يجْلُبُ دَواء الذنوب:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 110].

وعن سَلَامُ بن مِسْكينٍ[2] قال: سمعتُ قتادة، يقول:" إِنَّ الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، أَمَّا دَاؤُكُمْ فَذُنُوبُكُمْ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ فَالِاسْتِغْفَارُ "[3].

والناس يخطِئُون ولكن بالتوبة والاستغفار يغفر الله الذنوب؛ جاء في الحديث القدسي:" يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ "[4]. قال الأمير الصنعاني: " قوله: " فاستغفروني أغفر لكم" يقتضي أن المراد كل ذنب حتى الشرك؛ لأن المراد توبوا إلى من ذنوبكم أغفرها جميعا، وأما آية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ فهي في غير التائبين، والحديث إنما يناسبه آية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾،وهي في التائبين، وفي الإتيان بجملة:(وأنا أغفر)إلى آخرها، أتم دعاء للعباد إلى التوبة، وأكمل باعث عليها ولم يأت بنظيرها فيما سلف "[5].

وعن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ

---

[1] – ينظر: "مفتاح دار السعادة"، ابن قيم الجوزية، 309/1.

[2] – سَلاَّم بْن مِسكين، أبو نوح، النَّمريّ، الأَزدِيّ، البصرِي. سَمِعَ الْحَسَن، وسَمِعَ منه أَبو نُعيم، ومُسلم. مات سنة سبع، أو أربع وستين ومئة. ينظر: "التاريخ الكبير"، البخاري، 134/4.

[3] – أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، 347/9، رقم (6745). قال البيهقي: " وقد روي هذا بإسناد مجهول مرفوعا".

[4] – أخرجه مسلم في "صحيحه"، 1994/4، رقم (2577).

[5] – "التنوير شرح الجامع الصغير"، الأمير الصنعاني، 592/7.

اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ "، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: 135] "[1].

وعن أبي ذرٍّ عن النبي صلى الله عليه وسلم: " يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَإِنِّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَلَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلَوْ عَمِلْتَ مِنَ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا، لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، لَغَفَرْتُ لَكَ، ثُمَّ لَا أُبَالِي"[2].

سادساً- الاستغفار يجْلُبُ العافية الروحية (صفاء القلب ونقاؤه):

قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطفّفين:14]، وفي الحديث:" إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14] "[3].

قال علي بن ملا القاري: " (صُقِلَ قَلْبُهُ): عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ أَيْ: نَظُفَ وَصَفِيَ مِرْآةُ قَلْبِهِ لِتَجَلِّيَاتِ رَبِّهِ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمِصْقَلَةِ تَمْحُو وَسَخَ الْقَلْبِ وَسَوَادَهُ"[4].

وقال الشيخ علي العزيزي[5]: " (واستغفر وتاب)، أي: توبة نصوحاً بشروطها (صقل (صقل قلبه) بالبناء للمفعول، أي: محا الله تلك النكتة عن قلبه فينجلي "[6].

---

[1] – أخرجه أبو داود في "سننه"، 630/2، رقم (1521)، والترمذي في "سننه"، 257/2، رقم (406)، والحديث حسّن إسناده الحافظ الذهبي في "تذكرة الحافظ" 1/ 11، والمزي في "تهذيب الكمال"، 534/2-535.

[2] – أخرجه أحمد في "مسنده"، من حديث أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه-، 398/35، رقم (21505). والحديث حسّنه الشيخ الألباني، في "صحيح الترغيب"، رقم (3382).

[3] – أخرجه أحمد في "مسنده"، 333/13، رقم (7952)، والبغوي في "شرح السنة"، 89/5، رقم (1304) وقال: "قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح".

[4] – "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، علي بن ملا القاري، 1622/4.

[5] – علي بن أحمد بن محمد العزيزي البولاقي الشافعيّ، فقيه مصري، من العلماء بالحديث. مولده العزيزية – محافظة الشرقية- وإليها نسبته، ووفاته ببولاق، من مؤلفاته: "السراج المنير بشرح الجامع الصغير" (ت 1070هـ). ينظر: "خلاصة الأثر"، ٣/ ٢٠١، و"خطط مبارك"، ١٤/ ٥٠.

[6] – "السراج المنير شرح الجامع الصغير"، علي العزيزي، 49/2.

وقال محمد الأمين الهَرَرِي: " (واستغفر) أي: سأل الله المغفرة وتاب؛ أي: من ذلك الذنب (صُقل قَلْبُه) بالصاد المهملة على البناء للمفعول، قال في "القاموس": الصَّقلُ هو السَّقْلُ[1]، وقال فيه: صقله جلَّاه... والمعنى: نَظُف وصُفِّي مرآةُ قلبه؛ لأن التوبة بمنزلة المِصْقَلَةِ تمسح بها وسخ القلب وسواده "[2].

سابعاً– الاستغفار يجلب دخول الجنة لمن قاله موقناً به، في ليله أو نهاره:

عن شداد بن أوس–رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: " وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ "[3].

قال الطيبي في "شرح المشكاة": (سيد الاستغفار)، السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم، الذي يصمد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور بهذا الدعاء، الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها، وقد سبق أن التوبة غاية الاعتذار... (أبوء لك)... اعترف أولا بأنه تعالي أنعم عليه، ولم يقيده ليشمل كل الإنعام، ثم أعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، وعده ذنبا مبالغة في التقصير وهضم النفس "([4]).

ويقول الأمير الصنعاني: " (من قالها)، أي: هذه الكلمات، (من النهار موقنا بها)، أي: مخلصا من قلبه مصدقا بها، (فمات من يومه) ذلك، (قبل أن يُمسي)، أي: يدخل في المساء، (فهو من أهل الجنة)، أي: من الداخلين إليها مع السابقين أو من

---

[1] – أي: بمعنى واحد، بالسين والصاد. ينظر: "القاموس"، 1015/1، (فصل: السين).

[2] – " مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه"، محمد الأمين الهَرَرِي، 99/26.

[3] – صحيح البخاري، 67/8، رقم (6306).

[4] – " شرح مشكاة المصابيح"، 1844/6.

دون أن يمسه عذاب، (ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، فينبغي أن يقولها نهارا وليلا كل ذاكر "[1].

ثامناً- الاستغفار يجلب النصر والثبات في أرض معارك الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:147-148]. يقول ابن قيم الجوزية في معنى هذه الآية، وأثر الاستغفار والتوبة في جلب الثبات والنصر: " لَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَدُوَّ إنَّمَا يُدَالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ إنَّمَا يَسْتَزِلُّهُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِهَا، وَأَنَّهَا نَوْعَانِ: تَقْصِيرٌ فِي حَقٍّ، أَوْ تَجَاوُزٌ لِحَدٍّ، وَأَنَّ النَّصْرَةَ مَنُوطَةٌ بِالطَّاعَةِ، قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا هُمْ عَلَى تَثْبِيتِ أَقْدَامِ أَنْفُسِهِمْ وَنَصْرِهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَسَأَلُوهُ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ دُونَهُمْ، وَأَنَّهُ إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَمْ يَنْتَصِرُوا، فَوَفَّوْا الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا: مَقَامَ الْمُقْتَضِي، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالِالْتِجَاءُ إلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَمَقَامَ إزَالَةِ الْمَانِعِ مِنَ النَّصْرَةِ، وَهُوَ الذُّنُوبُ وَالْإِسْرَافُ "[2].

وقال عزوجل: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:286]. وثبت في صحيح مسلم إجابة هذا الدعاء: " " لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قال: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا " قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فأنزل الله تعالى ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: قد فعلت ﴿ وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال: قد فعلت ﴿ وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: قد

[1] - "التنوير شرح الجامع الصغير"، 430/6.

[2] - "زاد المعاد في هدي خير العباد"، ابن قيم الجوزية، 202/3.

فعلت"[1]. وجاء في تفسير "البحر المحيط": " (وَاعْفُ عَنَّا)، أي: تجاوز عنا، واغفر لنا أي: استر ذنوبنا، وارحمنا أي: تلطف بنا، أنت مولانا أي: ناصرنا والذي يلي علينا أمورنا، (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) في إقامة الحجة عليهم وفي غلبتنا إياهم، حتى يظهر ديننا على الدين كله كما وعدتنا "[2].

تاسعاً: الاستغفار يجلب تخفيف الأحكام والتكاليف الشرعية:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:286]، ختموا مسألتهم بتخفيف الآصار والتكاليف الشاقة- بالاستغفار وطلب العفو والرحمة، فاستجاب الله دعاءهم بقوله في الحديث القدسي السابق الذي أخرجه الإمام مسلم: " قال: قَدْ فعلت". " لما نزلت هذه الآية عظم ذلك واشتد على الصحابة، إنها تُنذر بالمحاسبة على ما في النفس، وعلى خطرات القلوب، وأنى لهم التحكم فيها؟ وكيف يستطيعون دفعها؟ لقد همهم الأمر وغمهم، وأزعجهم هذا الحكم وأقضَّ مضاجعهم، وقالوا: لئن آخذنا الله بهذا لنهلكنَّ، وذهب جماعة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسلموا، ثم جثوا وبركوا على الركب، وسكنت أعضاؤهم، وخشعت أبصارهم، وقالوا: هلكنا يا رسول الله، قال: وما ذاك؟ قالوا: كلفنا الله بما نستطيع من صلاة وصيام وجهاد وصدقة ففعلنا، لكن قد أُنزِلت عليك آية لا نطيقها، ولم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأسلوب، وخشي أن يفتح عليهم باب الرضا ببعض الأحكام وعدم الرضا بالبعض الآخر، فأغلق الباب بحزم، وقال: " أتريدون أن تقولوا كما قالت اليهود والنصارى، حين قالوا بشأن تكاليفهم: سمعنا وعصينا؟ لا تقولوا شق علينا كذا، ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير".

[1] – أخرجه مسلم في "صحيحه"، 116/1، رقم (126).

[2] – "البحر المحيط"، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، 409/1.

فرجعوا يقرءون الآية ثم يقولون: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وبعد فترة من الزمان، وبعد أن لانت ألسنتهم بالآية وانصاعت نفوسهم لها، واستسلموا لأمر ربهم فيها، نزل قوله تعالى تخفيفا عنهم: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فاستجاب الله لهم وقال: قد فعلت قالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال الله: قد فعلت واستجبت. قالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: قد فعلت واستجبت، وأكرم الله هذه الأمة بما لم يكرم به من قبلها"[1].

المبحث الرابع: جوالب العافية الدنيوية بالاستغفار.

سبقت الإشارة إلى أنّ أوامر الشريعة ونواهيها من الكتاب والسنة– تجلب للإنسانية بكل يقين أنواع العافية المختلفة، التي تسعد بها حياتهم وتتَّزن، ويشعرون معها بالأمن والأمان على الصعيد: النفسي، والاجتماعي، والبدني، والبيئي، والاقتصادي.

والاستغفار هو أحد هذه الأوامر الشرعية التي تحقق ما سبق ذكره، ويُنقِذ البشرية جمعاء من التيه والتخبط الذي تعيشه أثناء بحثها عن السعادة والهدوء والسكينة، والاستقرار.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: تنشط في العالم الغربي اليوم حركة اجتماعية ضخمة تسمى: (حركة الهدوء الكبير)، يجتمعون في الأماكن العامة والحدائق والمنتزهات، ويُطلب منهم إغماض أعينهم، وإغلاق هواتفهم النقالة، وخلع أحذيتهم وأحزمة ملابسهم، والتنفس بهدوء، على إيقاع صوت الموسيقى، كل هذا ليحصلوا على السكينة، والهدوء، والتخفيف من ضغوط الحياة والأعمال[2]. انظر إلى هذا التيه،

[1] – " فتح المنعم شرح صحيح مسلم"، موسى شاهين لاشين، 412/1.

[2] – للاستزادة حول هذا الموضوع، ينظر مقال بعنوان: " حركة الهدوء الكبير"، للدكتور عبد الباسط بوحميدة، كبير الباحثين بمركز التميز لبحوث الجينوم الطبي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

كَالْعِيسِ في البيداء يقتلها الظَّما*** والماء فوق ظهورها محمول([1]).

اليوغا وحركة الهدوء الكبير التي يعُدّها منظري التنمية البشرية: أنها نوع من أنواع الرياضة، معتقدين أنها تساعد على الاسترخاء والتأمل، ويخفون عن عمد أو غير عمد أنها شعيرة تعبُّدية هندوسية، ورهبان هذه الشعيرة من الهندوس يصرِّحون أنّ من يمارس عبدة اليوغا على أنها رياضة وترويح عن النفس– هم لصوص؛ لأنها عندهم شعيرة تعبديّة من أخص شعائرهم.

وفي دراسة على تأثير التأمل والاسترخاء على الصحة الجسدية والنفسية، قام بها أساتذة جامعيين، استهدفت ستين شخصاً ليقوم بهذه الرياضة ولمدة عامٍ كامل بشكل منتظم، أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

82% أصيبوا بنوبات هلع ورهاب حاد.

57% منهم شُخِّص بمرض الاكتئاب.

47% منهم يشعر بشكل مستمر بالرغبة في الانتحار.

وهذا التفكر والتأمل في هذه العبادة الوثنية ليس له علاقة بالتفكر والتأمل الإسلامي، وإنما المقصود به إيقاف تام للتأمل والتفكير، أي تعطيل هذه الحاسة بالكلية؛ لإجراء عملية اتحاد مع المطلق (وحدة الوجود والطاقة الكونية)([2]).

كل هذه التكاليف وعناء السفر وممارسة الوثنية وغيرها، من أجل طلب السكينة والهدوء، وفي أوامر الشرع– ومنها الاستغفار– يحقق كل ذلك وأكثر، وأنت جالس في بيتك، في مصلّاك، في مسجدك، في سيارتك، في عملك، ما عليك إلاَّ أن تلزم الاستغفار بحضور قلبٍ، وفهم لمعناه، فتجد الراحة الروحية، والهدوء الدائم، والعافية في الدين والدنيا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد:33]. وفيما يلي نستعرض بعض جوالب العافية الدنيوية من الاستغفار.

أولاً: العافية النفسية.

[1] – البيت لأبي علاء المعري، وهو في ديوانه "سقط الزند"، ص/142. ونسب لغيره.

[2] – ينظر للأهمية: "الإلحاد الروحي"، هيثم طلعت، ص/ 74–75.

- الاستغفار يجْلُبُ انشراح الصدر:

جاء في الحديث أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ". (ليغان)، أي: ليطبق إطباق الغين، وهو الغيم. قال القاضي عياض: المراد به فترات وغفلات من الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه، أو غفل عنه عد ذلك ذنبا فاستغفر منه. وقيل: هو همه بسبب أمته، وما طلع عليه من أحوالهم بعده ويستغفر لهم. وثالثهما: قيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته، وأمورهم ومحاربة العدو ومداراتهم، وتأليف المؤلفة، ونحو ذلك من معاشرة الأزواج، والأكل والشرب والنوم، وذلك مما يحجبه، ويحجزه عن عظيم مقامه[1].

وقيل: " (ليُغَانُ على قلبي)، يعني يحدث له شيء من الكتمة والغم وما أشبه ذلك (وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)، يقول: أستغفرُ الله في اليوم مائة مرة، هذا وهو النبي صلى الله عليه وسلم الذي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا! ولكن قلوبنا قاسية ميتة "[2].

وجاء في حديث ابن عباس – رضِي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " مَنِ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "[3].

" إنَّ الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة، والعذاب عَذابان: أدنى وأكبر، فالأدنى عذاب الذنوب والعيوب، فإذا كان العبد مستيقظًا على نفسه فكلَّما أذنب أو أعتب أتبعهما استغفارًا، فلم يبقَ في وبالها وعَذابها، وإذا غفل عن الاستغفار تراكمتْ ذنوبُه؛ فجاءت الهموم والضِّيق والعسر والعَناء والتَّعب، فهذا عذابه الأدنى، وفي

---

[1] – ينظر: "شرح مشكاة المصابيح"، الطيبي، 1835/6.

[2] – ينظر: "شرح رياض الصالحين"، العثيمين، 713/6.

[3] – أخرجه أبو داود في "سننه"، 85/2، 1518، والبيهقي في "السنن الكبرى"، 490/3، رقم (6421)، والحديث ضعفه البغوي في "شرح السنة" ،100/3، والذهبي في "المهذب"، 1278/3.

الآخِرة عذاب النار، وإذا استغفر تنصَّل من الهمِّ؛ فصار له من الهُموم فرجًا، ومن الضيق مخرجًا ورزَقَه من حيث لا يحتسب "[1].

فبالاستغفار يجلب الإنسان صفاء القلب ونقاءه، وينشرح صدره، وهي النعيم المنشود في الدنيا، الذي يلهث وراءه العالم الغربي، وضل طريقه في الوصول إليه، وهدى الله الذين آمنوا بإذنه.

والاستِغفارُ له تأثيرٌ عجيبٌ في زَوال الهموم والغُموم وتفريجِ الكروب، يقول ابن القيم – رحمه الله–: " فالمعاصي والفَساد تُوجِب الهمَّ والغمَّ والخوف والحزن وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إنَّ أهلَها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمَتْها نفوسُهم ارتكَبُوها دفعًا لما يجدونه في صُدورهم من الضيق والهمِّ والغمِّ، كما قال شاعرهم:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ *** وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا([2]).

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواءَ لها إلاَّ التوبة والاستغفار"[3].

–الاستغفار يجلب الأمن النفسي:

في الحديث عن أبى بُردَة بن أبي مُوسَى عن أبيه قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: " أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33]، فإذا مضَيْتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ إلى يوم القيامة "[4].

وعن أبي أنس بن مالك–رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ الأَرْضِ إِلَى

---

[1] – ينظر: "فيض القدير"، المناوي، 82/6.

[2] – البيت للأعشى، "ديوانه"، ص/173، نقلاً عن "الكلام في مسألة السماع"، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، وهو في "درة الغواص" أبو محمد الحريري، ص/143، منسوبا للأعشى.

[3] – ينظر: "الطب النبوي"، 155/1، "زاد المعاد"، ابن قيم الجوزية، 191/4.

[4] – أخرجه الترمذي في "سننه"، 270/5، رقم (3082) وقال: " هذا حديثٌ غرِيب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف فِي الحديث ".

السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللَّهَ لَغَفَرَ لَكُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ فَيغْفر لَهُم"[1].

فإذا كثُرت الذنوب، وقلَّ الاستغفار أو انعدَمَ، فالعذابُ سيَحصُل لا محالة؛ لقوله- تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33]، فالاستغفار سببٌ جالبٌ لمنْع العَذاب[2].

وتشير الدراسات المعاصرة التي أجريت حول الأمن النفسي إلى:

وجود علاقة إيجابية بين الأمن النفسي والتمسك بتعاليم الدِّين القويم، وإن عدم الشعور بالأمن النفسي يؤثر على النمو بصفة عامة، فقد أظهرت الدراسات أنّ شعور الفرد بالأمن النفسي يلعب دوراً مهماً في تطوره، ونمو شخصيته، ونموه المعرفي، وأنّ انعدام الأمن النفسي له مردود سلبي على الفرد والمجتمع([3]).

وبانعدام الأمن النفسي يجد الإنسان صعوبة في مواجهة الحياة؛ لأنه في حال استجاباته للموقف الخارجي تتداخل مخاوفه وقلقه وأنواع الصراع الذي يعاني منها([4]). والحاجة إلى الأمن النفسي تأتي في مقدمة الحاجات النفسية (غير العضوية)، وإذا ما أشبعها الإنسان سيتهيأ لحاجته النفسية والاجتماعية الأخرى، ولا تظهر هذه الحاجات عند الفرد إلاّ بعد أن يُشبع حاجاته الفسيولوجية ولو جزئياً، ويسعى الشخص الآمن بعد ذلك في تحقيق حاجات أعلى في المستوى الهرمي للحاجات، كما حدّدها ما سلو في هرمه الشهير([5]).

---

[1] – أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، 226/7، رقم (4226)، وصحح الحديث ابن تيمية في "منهاج السنة"، 431/2.

[2] – ينظر: موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm مقال لعبده قايد الذريبي.

[3] – ينظر: "الأمن النفسي وعلاقته بجودة الحياة"، محمد عبد اله الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة بنها، جمهورية مصر العربية، 2015م، ص/4.

[4] – ينظر: "الشخصية والصحة النفسية"، عثمان لبيب وعبدالسلام عبد الغفار، 1970م، ص/ 115. نقلاً عن "الأمن النفسي وعلاقته بجودة الحياة"، محمد عبد اله الغامدي، ص/4.

[5] – ينظر: "الأمن والتحمل النفسي وعلاقتهما بالصحة النفسية"، زيد بهلول سمين، 1997م، ص/10. نقلاً عن: "الأمن النفسي وعلاقته بجودة الحياة"، محمد عبد اله الغامدي، ص/4.

ومن المهم أن يشعر الفرد بالأمن النفسي في هذا العالم الذي يموج بالحروب، والكوارث، والأزمات الاقتصادية، وانتشار البطالة، والخوف من المستقبل؛ حتى ينمو الفرد بشكل سليم([1]).

والأمن النفسي يتضمن وجود التوازن بين الفرد وذاته من ناحية، وبين المحيطين به من ناحية أخرى، فإذا ما توافرت هذه العلاقة المتوازنة في سلوك الفرد فإنه يميل إلى الاستقرار، وبذلك يكون أكثر قابلية للعمل والإنتاج، بعيد عن القلق والاضطراب([2]).

ثانياً: العافية الاجتماعية:

-الاستغفار يجلب الحل لمشاكل العُقم، وتأخر الإنجاب.

يقول الله – تعالى – على لِسان نوح – عليه السلام – أنَّه قال لقومه:﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾.

قال البغوي في تفسيره: " وَذَلِكَ أَنْ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوهُ زَمَانًا طَوِيلًا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم وَمَوَاشِيهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ: اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، أَيِ: اسْتَدْعَوْا الْمَغْفِرَةَ بِالتَّوْحِيدِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَرَوَى مُطَرِّفٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا سَمِعْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ؟ فَقَالَ: طَلَبْتُ الْغَيْثَ بِمَجَادِيحِ[3] السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ، قَالَ عَطَاءٌ: يُكَثِّرْ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ ﴾[4].

---

[1] – ينظر: "الأمن النفسي وعلاقته بجودة الحياة"، محمد عبد اله الغامدي، ص/4.

[2] – ينظر: "الإسلام والأمن النفسي للأفراد"، عبد الرحمن عدس، 1996م، ص/ 40. نقلاً عن: "الأمن النفسي وعلاقته بجودة الحياة"، محمد عبد اله الغامدي، ص/4.

[3] – جمع مِجْدَح، وهو: خَشَبَة فِي رَأسهَا خشبتان معترضتان يساط بهَا الشَّرَاب؛ أي: يُزاد به تدفق الماء واندفاعه. ينظر: "المعجم الوسيط"، 109/1، (باب: الجيم).

[4] – "تفسير البغوي"، 156/5.

وجاء في الحديث: " مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "[1]، ولا شكّ أنّ عدم الإنجاب أو تأخره يُسبب ضيقاً وهماً اجتماعياً لمن ابتلي به، وهذا الحديث يصف الدواء لمن ضاق حاله، وأرهقه الهم والغم.

وهناك أسباب صحية وبيئية وغيرها للعقم وتأخر الإنجاب منها([2]):

الأسباب الصحية:

-**القيلة الدوالية:** وهي تورم في الأوردة التي تُصرِّف الدم من الخصية. وهي أحد أسباب عُقم الذكور الأكثر شيوعًا والقابلة للعلاج. على الرغم من أن علة تسبُّب القيلة الدوالية في العقم غير معروفة، فإنها قد تكون مرتبطة بتدفق الدم غير الطبيعي، وتؤدي القيلة الدوالية إلى تقليل كمية الحيوانات المنوية وجودتها.

- **العدوى:** يمكن أن تعيق بعض حالات العدوى إنتاج الحيوانات المنوية أو سلامتها، أو يمكن أن تؤدِّي إلى حدوث تندب يمنع مرور الحيوانات المنوية، ومن أمثلة هذه الحالات: التهاب البربخ أو الخصيتين، وبعض حالات العدوى المنقولة جنسيًّا، بما في ذلك السَّيَلان أو فيروس نقص المناعة البشري، وعلى الرغم من أن بعض حالات العدوى يمكن أن تسبِّب تلفًا دائمًا في الخصيتين، ففي أغلب الأحيان يظل استخراج الحيوانات المنوية ممكنًا.

- **مشكلات القذف:** يحدث القذف الراجع عندما يدخل السائل المنوي إلى المثانة أثناء رعشة الجماع بدلاً من الخروج من طرف القضيب. يمكن أن تسبب الحالات الصحية

([1]) أخرجه أبو داود في "سننه"، 85/2، رقم (1518)، والطبراني في "الأوسط"، 240/6، رقم (6291)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، 211/3، والبيهقي في "السنن الكبرى"، 490/3، رقم (6421). والحديث ضعّفه البغوي في "شرح السنة"، 79/5، رقم (1296)، و الحافظ الذهبي في "تلخيص المستدرك"، 4/ 262.

[2] - أفدتُ هذه الأسباب من موقع (مايو كلينك) -https://www.mayoclinic.org/ar/diseases conditions/male

-infertility/symptoms-causes/syc-20374773

المختلفة القذف الراجع، بما في ذلك مرض السكري وإصابات العمود الفقري وتناول أدوية معينة وجراحة المثانة أو البروستاتا وغيرها.

– **الأجسام المضادة التي تهاجم الحيوانات المنوية:** الأجسام المضادة للحيوانات المنوية هي خلايا جهاز المناعة التي تخطئ في التعرُّف على الحيوانات المنوية على أنها أجسام غريبة وضارة، وتحاول القضاء عليها.

– **الأورام:** يمكن أن تؤثر الأورام السرطانية والحميدة في الأعضاء التناسلية لدى الذكور، من خلال الغدد التي تنتج الهرمونات المتعلقة بالإنجاب، مثل الغدة النُّخامية أو من خلال أسباب غير معروفة. في بعض الحالات، يمكن أن تؤثر الجراحة أو الإشعاع أو العلاج الكيميائي لمعالجة الأورام في خصوبة الرجال.

– **الخصيتان المعلَّقتان:** بالنسبة إلى بعض الذكور، أثناء نمو الجنين، تفشل إحدى الخصيتين أو كلتاهما في النزول من البطن إلى الكيس الذي يحتوي عادةً على الخصيتين (كيس الصفن). وترتفع احتمالية نقص الخصوبة بين الرجال المصابين بهذه الحالة المرضية.

– **اختلال توازن الهرمونات:** يمكن أن ينتج العقم عن اضطرابات في الخصيتين أو عن خلل يصيب الأنظمة الهرمونية الأخرى، بما في ذلك الوطاء والغدة النخامية والغدة الدرقية والغدة الكظرية. يوجد عدد من الأسباب الكامنة المحتملة لانخفاض هرمون التستوستيرون (قصور الغدد التناسلية الذكوري) وغيره من المشكلات الهرمونية.

– **خلل في الأنابيب التي تنقل الحيوانات المنوية:** تحمل العديد من الأنابيب المختلفة الحيوانات المنوية. وقد تُسدُّ تلك الأنابيب نتيجة لأسباب أخرى، بما في ذلك إصابة غير مقصودة ناتجة عن جراحة أو إصابات سابقة بحالات عدوى أو رضح أو نمو غير طبيعي، مثل التليف الكيسي أو حالات وراثية مشابهة. يمكن أن يحدث الانسداد في أي مكان، بما في ذلك داخل الخصية أو في الأنابيب التي تفرغ الخصية أو في البربخ أو في القناة الناقلة للمَني أو بالقرب من قنوات القذف أو في مجرى البول.

– **عيوب في الكروموسومات:** تسبب الاضطرابات الوراثية مثل متلازمة (كلاينفلتر) – التي تؤدي إلى أن يُولَد الذكر بكروموسومين X وكروموسوم واحد Y (بدلاً من كروموسوم واحد X وكروموسوم واحد Y) – نموًا غير طبيعي في أعضاء الذكر التناسلية. وتتضمن المتلازمات الوراثية الأخرى المرتبطة بالعقم التليف الكيسي ومتلازمة (كالمان).

– **مشكلات الجماع:** يمكن أن تتضمن هذه المشكلات عدم القدرة على الوصول إلى درجة الانتصاب الكافي لممارسة الجنس أو الحفاظ عليه (ضعف الانتصاب) أو القذف المبكر أو الجماع المؤلم أو التشوهات التشريحية مثل: وجود فتحة إحليلية أسفل القضيب (المبال التحتاني) أو مشكلات نفسية أو مشكلات في العلاقة تعيق الجماع.

– **الداء البطني:** الداء البطني هو أحد الاضطرابات الهضمية بسبب الحساسية من بروتين موجود في القمح يُسمى الغلوتين. وقد تسهم الحالة المرضية في عُقم الذكور لكن قد تتحسن الخصوبة بعد اتباع نظام غذائي خالٍ من الغلوتين.

– **تناوُل أدوية معينة:** يمكن أن يؤدي العلاج ببدائل التستوستيرون وتناول الستيرويد البنائي على المدى الطويل وأدوية السرطان (العلاج الكيميائي) وبعض أدوية القرحة وبعض أدوية التهاب المفاصل وبعض الأدوية الأخرى، إلى ضعف إنتاج الحيوانات المنوية وقلة الخصوبة لدى الذكور.

– **الخضوع لجراحات سابقة:** قد تمنع بعض العمليات الجراحية وجود الحيوانات المنوية أثناء القذف، منها قطع القناة المنوية والعمليات الجراحية المتعلقة بالصفن أو الخصية والعمليات الجراحية الخاصة بالبروستاتا والعمليات الجراحية الكبيرة في البطن التي تُجرى لسرطانات الخصية والمستقيم وغيرها.

الأسباب البيئية: يمكن أن يتسبب التعرض المفرط لبعض العناصر البيئية مثل: الحرارة والسموم والمواد الكيميائية في خفض إنتاج الحيوانات المنوية أو إضعاف وظيفتها، ومن هذه الأسباب ما يلي:

–المواد الكيميائية الصناعية: قد يُسهِم التعرض لفترات طويلة لبعض المواد الكيميائية والمبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب والمذيبات العضوية ومواد الطلاء في انخفاض عدد الحيوانات المنوية.

– **التعرض للمعادن الثقيلة:** قد يتسبب التعرض للرصاص أو المعادن الثقيلة الأخرى في الإصابة بالعقم أيضًا.

– **الإشعاع أو الأشعة السينية:** يمكن أن يقلل التعرض للإشعاع من إنتاج الحيوانات المنوية، على الرغم من أنه سيعود غالبًا إلى طبيعته في نهاية المطاف، لكن يمكن أن يقل إنتاج الحيوانات المنوية بشكل دائم مع التعرض المفرط للإشعاع.

– **ارتفاع درجة حرارة الخصيتين:** قد يضعف ارتفاع درجات الحرارة إنتاج الحيوانات المنوية ووظيفتها. على الرغم من أن الدراسات محدودة وغير حاسمة، فإن استخدام حمامات البخار أو أحواض الاستحمام الساخنة بشكل متكرر قد يقلل عدد الحيوانات المنوية مؤقتًا. قد يؤدي الجلوس لفترات طويلة أو ارتداء ملابس ضيقة أو العمل على الحاسوب المحمول لفترات طويلة من الوقت إلى زيادة درجة حرارة كيس الصفن، وقد يقلل من إنتاج الحيوانات المنوية بشكل طفيف. ولكن البحث ليس جازمًا في هذا الشأن.

أنماط الحياة وأسباب أخرى:

–**تناول العقاقير:** يمكن أن تسبب أدوية الستيرويدات البنائية، التي تُؤخذ لتحفيز نمو العضلات وقوتها، في تقليص حجم الخصيتين وتقليل إنتاج الحيوانات المنوية. قد يقلل تعاطي الكوكايين أو الماريجوانا من عدد الحيوانات المنوية وجودتها بشكل مؤقَّت أيضًا.

– **تعاطي الكحول:** يمكن أن يؤدي شرب الكحول إلى خفض مستويات هرمون التستوستيرون، ويسبب ضعف الانتصاب، ويقلل من إنتاج الحيوانات المنوية، وقد تؤدي أمراض الكبد الناجمة عن الإفراط في شرب الخمر إلى مشكلات في الخصوبة أيضًا.

– **تدخين التبغ:** قد يكون لدى الرجال المدخنين عدد حيوانات منوية أقل من أولئك الذين لا يدخنون، كما يمكن أن يؤثر التدخين السلبي في خصوبة الرجال.

– **الوزن:** يمكن أن تتسبب السُمنة في ضعف الخصوبة بعدة طرق، من بينها التأثير المباشر في الحيوانات المنوية نفسها، وكذلك عن طريق التسبُّب في تغييرات هرمونية تقلل من خصوبة الرجال.

–الاستغفار يجلب الوقاية من الوقوع في الزنى:

لا شك أنّ عفة الفرج عن الحرام، أمر في غاية الأهمية لصيانة المجتمعات من شروره ووباله، فقد أمر الله تعالى بها كل من لم يستطع النكاح؛ فقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور: 33]، وأمَر المؤمنين جميعًا أن يحفظوا فروجهم عن الحرام والطرقِ الموصلة إليه؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: 30]، وأمر بذلك المؤمنات؛ فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: 31]، ووصف عباده الصالحين بالبُعد عن الزنا؛ فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: 68]، ثم هدد مَن وقع فيه – مع غيره مما ذكر – بقوله: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: 68، 69]؛ فكان حريًّا بكل مسلم ومسلمة أن يكون مستجيبًا لنداء خالقه جل وعلا، مستمسكًا بالعفة، حريصًا على الطُّهر والنقاء، بعيدًا عن كل ما يدنس شرَفه[1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: "إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ:

[1] – ينظر" " حديث: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا"، عبد الرحمن الدوسري، مقال بموقع الألوكة، بتاريخ: 1437/7/179 هجري، /2016/4 ميلادي.

لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:" وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ:" أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

بالنظر إلى هذا الحديث يتبين أنّ أوّل خطوة تجلب الحصانة من هذه الفاحشة التي تهدد المجتمعات- هي الاستغفار، فهو بلا يشك يجلب عافية مجتمعية غاية في الأهمية. ومن المناسب هنا **ذكر الأسباب المُوقِعة في جريمة الزنا،** فبمعرفتها والابتعاد عنها يُحفظُ الفرد والمجتمع، ومن هذه الأسباب:

1-الاختلاط: ويحدث هذا كثيراً في المستشفيات والأسواق والملاهي والحدائق العامة وغيرها وما دعوة أعداء الملة والدين للتبرج والاختلاط إلا لحقدهم الدفين على المسلمين لتمسكهم بدينهم القويم ، الذي هداهم إلى الصراط المستقيم ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

2- **غلاء المهور:** فبعض الأولياء جعلوا بناتهم سلعاً تُباع وتُشترى ، فمن يُعطي فيها أكثر هو الفائز بها ، والحائز لها . أما صاحبة الشأن التي ستمضي بقية عمرها مع زوجها فلا رأي لها عند جهلة الناس وظلمتهم ، لا لشيء ؟ ولكن لحب المال والجاه.

3- **حُجة إكمال الدراسة أو التدريس:**فمن الفتيات من يتحججن بحجة إكمال الدراسة ، بل إن بعضهن يبقى قابعة في فصل واحد عدة سنوات حتى يفوتها قطار الزواج ،

[1] - رواه أحمد في "المسند"، 5/ 256، والطبراني في "المعجم الكبير" 8/ 162، 183، والبيهقي في "شعب الإيمان"، 4/ 362 (5415)، قال العراقي في "المغني عن حمل الأسفار"، 1/ 592: "رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح"، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، 1/ 129: "رجاله رجال الصحيح".

فتجد نفسها وقد بلغت من الكبر عتياً فلم يعد يلتفت إليها أحد لكبر سنها ، فتقع فيما لا تُحمد عُقباه.

4- **أصدقاء السوء:** اختر أيها الأب لأبنائك من الأصدقاء من يكون عوناً لهم على طاعة الله ورسوله ، وحذرهم من أصدقاء الشر والسوء ، وإذا أردت أن تعرف أخلاق ابنك فسأل عن قرينه وصاحبه فالجواب هناك.

5- **الوسائل المعينة على الزنا:** وهذه النقطة هي محور هام ينبغي لجميع أولياء الأمور التنبه لها، وأكثرها شراً وفساداً (مواقع التواصل الاجتماعي- الهواتف المحمولة- القنوات الفضائية) وغير ذلك.

6- **الغِنَاء:** فقد قيل أن الغناء بريد الزنا، وهو من الأسباب الرئيسة لوقوع صاحبه في الفاحشة، وهو محرم بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأمة.

7- **التبرج والسفور:** إذ كيف برجل يرى امرأة كاشفة الوجه واليدين والرجلين وحاسرة الرأس كاسية عارية تجوب الشوارع والأسواق بلا محرم، ألا يطمع فيها من كان في قلبه مرض، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ، نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، عَلَى رُؤُوسُهُنَّ أَمْثَالُ أَسْنِمَةِ الْإِبِلِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا "([1]).

8- **الخضوع والتكسر في الكلام:** فيوجد بعض النساء من تتكسر وتتميع في الكلام مع الرجال ولاسيما أصحاب المحلات التجارية، ومنهن من تكثر من الضحك سواءً في التليفون أو مع بعض المحارم أو غيرهم مما قد يوقع الشيطان في قلب بعض أولئك شراً وهي لا تدري نتيجة هذا الضحك.

[1] – أخرجه أحمد في "مسنده" من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-15 /426، رقم (9680).

9- التصوير بشتى أنواعه ووسائله: فهو أداة يستخدمها مرضى العقول والقلوب، عبيد الشهوة واللذة، يستخدمونها لإرغام الضحية والتي قبلت بالتصوير لتهديدها وعمل الفاحشة بها، ثم يتركونها ملطخة بثوب العار والفضيحة.

10- **كتابة الرسائل الغرامية:** فهي من وسائل الضغط والتهديد، التي يستخدمها ضعاف النفوس، وعباد الشهوات للوصول إلى بغيتهم ومطلبهم المحرم، ولو أن الفتاة حينما أخطأت تابت إلى الله عز وجل وعادت وأنابت إلى غافر الذنب، لجعل الله لها من كل ضيقاً مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ولجعل لها من أمرها يسراً .

11- امتناع بعض الزوجات من فرش أزواجهنَّ: مما قد يقع معه ضعاف الدِّينِ في فخاخ الفاحشة والرذيلة.

12- **إهمال الرجال لحقوق النساء:** إن من أهم حقوق للمرأة على الرجل إعطاؤها حقها في المبيت، فبعض الرجال يهمل هذا الحق المهم بالنسبة للمرأة فتقع فريسة للأهواء والشهوات، وتصبح صيداً سهلاً في أيدي اللاعبين بالأعراض، فتورد نفسها وشرفها المهالك.

13- **امتناع الأولياء عن تزويج بناتهم:** ويحصل ذلك غالباً عند من ركنوا إلى الدنيا واطمأنوا بها ورضوها واتخذوها وطناً وسكناً، فمنعوا بناتهم من الزواج من أجل أكل رواتبهنَّ إنْ كنَّ عاملات، ومن فعل ذلك فعليه من الله ما يستحق من العذاب والعقوبة، وعلى الفتاة رفع أمرها بعد الله تعالى إلى المحكمة لتنظر في أمرها وتتخذ ما تراه مناسباً لها.

14- **التساهل بلباس الصغيرات:** فالتساهل بلباس الفتيات الصغيرات يُطمع من في قلبه مرض فتقع الصغيرات ضحية الموضات، وإهمال الآباء والأمهات.

15- **التشبه بنساء الكفار:** ولا شك أن ذلك من الحرام مصداقاً لقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "([1])، فالعتب كل العتب يقع على أولياء أمور النساء من أزواج وآباء وإخوة ومحارم.

16- **الخلوة:** فهي من أسباب الزنة، كالخلوة مع السائق، والموظف في العمل كالمدير وغيره.

17- **الفراغ:** ذلك الجندي المجهول الذي يعمل في الشباب والشابات ليل نهار، فالفراغ قاتل إذا لم يحسن المرء استغلاله فيما يعود عليه بالنفع عند الله -عزوجل- وداعٍ إلى فعل الفاحشة والمعصية.

18- **الطلاق:** قد يكون الطلاق سبباً من الأسباب المباشرة لوقوع فاحشة الزنا والعياذ بالله ، فعندما تحدث الفرقة بين الزوجين يكون ضحية ذلك الأبناء ، فيتشرد الأبناء غالباً ، ويقعون في حيرة عند من يذهبون ؟ إلى الأم ؟ أم إلى الأب ؟ وناهيك عما يحصل لهم من حزن وقلق بسبب ذلك الفراق والطلاق ، فلا اهتمام ولا رعاية فكل مشغول بكيفية الانتقام من صاحبه . وإنْ حصل زواج لأحد الأبوين، أو كليهما كانت الكارثة الكبرى، فحتماً سيصبح الأبناء ضحية حقيقية لذلك الطلاق، فتعبث بهم الأهواء، ويكونون صيداً في أيدي العابثين، ويصبحون عوناً لأهل الجريمة، فلا مأوى ولا ملبس ولا مأكل ولا مشرب، فما عساها تكون النتيجة؟

19- **الخدم:** وهذه من المصائب التي ابتلينا بها ، فقد يكون الخدم سبباً من أسباب الزنا، إذا لم يحسن الأبوان العناية بهم، وتعليمهم تعاليم الإسلام الحنيف التي تدعوا إلى إحصان الفروج، وتنهى وتحذر من ارتكاب الفواحش.

20- **السياحة الخارجية:** فماذا يتعلم أولئك الذين يسيحون خارج البلاد؟ أيتعلمون القرآن؟ أم السنة والأدب والأخلاق؟ لا هذا ولا ذاك؟ وإنما هي نزوات شيطانية يستقون

[1] - أخرجه أبو داو في "سننه"، 78/4، رقم (4033).

فيها حضارة الغرب الزائفة، التي لو فادت أهلها لما وصلوا إلينا جاهدين من أجل الإسلام وأهله، ثم يرتضع أولئك السائحون من تقاليد الغرب الفاشلة الساقطة التي يقوم عليها إخوان القردة والخنازير. فهناك الإباحية والدعارة والفاحشة على مصراعيها لا زاجر ولا ناهي، بل الكل ينادي ويدعوا إلى الرذيلة والفاحشة.

21- **شرب الخمور والمسكرات:** إذا غاب العقل استحكم الشيطان على بن آدم وحوله من إنسان خائف وجل من ربه إلى حيوان عدواني شهواني يطيع شهواته ويحقق رغباته، فهو كالحيوان بل أضل سبيلاً ، نتيجة لفقد عقله وانطماس بصيرته([1]).

ثانيا: العافية البيئية.

يعاني العالم اليوم من أزمات بيئية، تهدد حياة واستقرار سكانه، كموجات الجفاف، والهجرات العكسية التي جعلت مدناً وقرىً خراباً خاوية على عروشها بعد أن كانت عامرة آمنة مطمئنة، وانبعاثات الغازات الدفيئة من المصانع والمفاعلات، واحتراق الوقود وغيرها- التي في حال ارتفاع نسب هذه الغازات- ينتج عنه: الاحترار العالمي والطقس القاسي، وارتفاع منسوب مياه البحار، وانقراض النباتات والحيوانات، وارتفاع حموضة المحيطات، والتغيرات المناخية الكبيرة، والاضطرابات الاجتماعية غير المسبوقة([2]).

وفي أحدث الدراسات في هذا الجانب تبين ما يلي:

1.إجمالي الانبعاثات العالمية: وفقًا لأحدث البيانات من مشروع الكربون العالمي، في عام 2020، بلغت انبعاثات الغازات الدفيئة العالمية حوالي 52.4 مليار طن من

[1] – أفدت هذه الأسباب من موقع (صيد الفوائد)، مقال بقلم: يحيى بن موسى الزهراني.

[2] – Greenhouse Gasses: Causes, Sources and Environmental Effects", www.livescience.com Retrieved 18-5-2019. Edited

مكافئ ثاني أكسيد الكربون (CO2e). وتشمل هذه الانبعاثات، الانبعاثات من مصادر مختلفة مثل إنتاج الطاقة والنقل والزراعة والصناعة وتغيرات استخدام الأراضي.

2. الانبعاثات حسب نوع الغاز:

– ثاني أكسيد الكربون (CO2): تعتبر انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المكون الرئيسي لانبعاثات الغازات الدفيئة العالمية. في عام 2020، بلغت انبعاثات ثاني أكسيد الكربون حوالي 76% من إجمالي الانبعاثات العالمية. تشمل مصادر انبعاثات ثاني أكسيد الكربون حرق الوقود الأحفوري لتوليد الكهرباء والتدفئة والنقل والعمليات الصناعية وتدمير الغابات.

– الميثان (CH4) وأكسيد النيتروز (N2O): الميثان وأكسيد النيتروز أيضًا غازات دفيئة هامة. في عام 2020، بلغت انبعاثات الميثان حوالي 16% من إجمالي الانبعاثات العالمية، بينما بلغت انبعاثات أكسيد النيتروز حوالي 6%.

3. الانبعاثات حسب القطاع:

– قطاع الطاقة: يعتبر قطاع الطاقة المساهم الأكبر في الانبعاثات العالمية للغازات الدفيئة، حيث بلغت نسبته حوالي 73% من إجمالي الانبعاثات في عام 2020. ويشمل ذلك الانبعاثات من احتراق الوقود الأحفوري لتوليد الكهرباء والتدفئة والنقل.

– الزراعة: تسهم الزراعة بحوالي 13% من الانبعاثات العالمية للغازات الدفيئة. تأتي انبعاثات الزراعة بشكل رئيسي من هضم الماشية وحقول الأرز والتربة الزراعية.

– الصناعة: العمليات الصناعية، بما في ذلك إنتاج الأسمنت وتصنيع الصلب وإنتاج المواد الكيميائية، تسهم بحوالي 10% من الانبعاثات العالمية.

– استخدام الأراضي والغابات: التغيرات في استخدام الأراضي، مثل التصحر وتدهور الغابات، تسهم بحوالي 3% من الانبعاثات العالمية. ومع ذلك، تعمل الغابات أيضًا كمستودعات للكربون، حيث تمتص ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي.

4. التباينات الإقليمية: تختلف مستويات الانبعاثات حسب المنطقة، حيث تتبع البلدان المتقدمة عادةً من انبعاثات غازات الدفيئة للفرد أكثر من البلدان النامية. الصين هي أكبر مصدر للانبعاثات الغازية، تليها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والهند وروسيا.

5. الاتجاهات والتوقعات: في حين تم بذل جهود للحد من انبعاثات الغازات الدفيئة من خلال السياسات والتقنيات والانتقال نحو مصادر الطاقة المتجددة، فإن الانبعاثات العالمية استمرت في الارتفاع في العقود الأخيرة. وهناك حاجة ملحة وطموحة إلى اتخاذ إجراءات للحد من الانبعاثات وتخفيف آثار تغير المناخ([1]).

ومن الآليات والإجراءات التي تساعد في التقليل انبعاث الغازات الدفينة للحفاظ على البيئة ما يلي:

1. الانتقال إلى الطاقة المتجددة: زيادة استخدام مصادر الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية، والرياح والهيدروكهرباء، والجيوثيرمال، يمكن أن يقلل بشكل كبير من انبعاثات الغازات الدفيئة المرتبطة بتوليد الكهرباء. يمكن للحكومات والشركات والأفراد الاستثمار في البنية التحتية والتكنولوجيات المتجددة.

2. الكفاءة الطاقوية: تحسين الكفاءة الطاقوية في المباني والنقل والعمليات الصناعية يمكن أن يقلل من الاستهلاك الطاقي الكلي وبالتالي من انبعاثات الغازات الدفيئة.

[1] – Global Carbon Project: https://www.globalcarbonproject.org/

• Intergovernmental Panel on Climate Change (IPCC): https://www.ipcc.ch/

• World Resources Institute (WRI): https://www.wri.org/

• International Energy Agency (IEA): https://www.iea.org/

يشمل ذلك تدابير مثل العزل الأفضل، والأجهزة ذات الكفاءة من حيث الطاقة، والمركبات الفعالة من حيث استهلاك الوقود، وتحسين عمليات الصناعة.

3. تسعير الكربون: تنفيذ آليات تسعير الكربون مثل الضرائب الكربونية أو أنظمة السقف والتجارة يمكن أن يخلق حوافز اقتصادية لتقليل الانبعاثات. من خلال وضع سعر على الانبعاثات الكربونية، يتم تشجيع الصناعات والأفراد على الاستثمار في التقنيات والممارسات الأكثر نظافة.

4. زراعة الأشجار وإعادة التحريج: حماية الغابات الحالية واستعادة الأراضي المتدهورة من خلال مشاريع زراعة الأشجار وإعادة التحريج (التشجير) يمكن أن يعزز الاحتباس الحراري، حيث تعمل الغابات كمستودعات للكربون عن طريق امتصاص ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي.

5. الزراعة المستدامة: اعتماد ممارسات زراعية مستدامة، مثل الزراعة المتعددة الأشجار والحراثة الحفاظية والزراعة العضوية، يمكن أن يساعد في تقليل الانبعاثات من التصحر والماشية وإدارة التربة.

6. الانتقال إلى النقل منخفض الكربون: تعزيز استخدام المركبات الكهربائية، وتحسين البنية التحتية للنقل العام، وتشجيع المشي وركوب الدراجات يمكن أن يقلل من الانبعاثات من قطاع النقل، الذي يعتبر مساهمًا كبيرًا في انبعاثات الغازات الدفيئة.

7. البحث والابتكار: الاستثمار في البحث وتطوير التقنيات ذات الانبعاثات المنخفضة، مثل التقاط وتخزين الكربون (CCS)، وتخزين الطاقة بالبطاريات المتقدمة، وخلايا الوقود بالهيدروجين يمكن أن يسرع من الانتقال إلى اقتصاد منخفض الكربون.

8. التعاون الدولي: يعد تغير المناخ قضية عالمية تتطلب التعاون والتنسيق الدولي. يجب على البلدان العمل معًا لتحديد أهداف طموحة للحد من الانبعاثات، وتبادل أفضل الممارسات، وتقديم الدعم للدول النامية في جهودها للتكيف والتخفيف من تغير المناخ.

9. التوعية العامة والتعليم: زيادة التوعية العامة حول تأثيرات تغير المناخ وأهمية تقليل انبعاثات الغازات الدفيئة أمر أساسي لدفع الفرد والجماعة لاتخاذ إجراءات فردية وجماعية. يمكن لبرامج التعليم والتوعية أن تمنح الأشخاص القدرة على اتخاذ قرارات مستنيرة والدعوة لسياسات صديقة للمناخ.

10. دعم السياسات: تلعب الحكومات دورًا حاسمًا في تنفيذ السياسات والتشريعات التي تدعم جهود تقليل الانبعاثات. يمكن أن يشمل ذلك تحديد أهداف لتقليل الانبعاثات، وتنفيذ حوافز للطاقة المتجددة، ووضع معايير لكفاءة الطاقة، وإلغاء تدريجي لدعم الوقود الأحفوري([1]).

ومن العلاجات الناجعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي تجلب العافية البيئية لسكان الأرض، الاستغفار، فهو علاج ربّاني أعرضت عنه البشرية، واعتمدت على عقولها وعلومها بصفة مستقلة، فعانت ومازالت تعاني من الأزمات البيئية التي فتكت بسكان المعمورة. وفيما يلي ذكر لجوانب من جوالب العافية البيئية من الاستغفار:

[1] – IPCC Special Report on Renewable Energy Sources and Climate Change Mitigation

- International Energy Agency (IEA) Energy Efficiency 2021 report
- World Bank, Carbon Pricing Dashboard
- UNFCCC REDD+ mechanism=
- FAO report on Climate Change and Food Security
- ITF Transport Outlook report
- IPCC Special Report on Carbon Capture and Storage
- United Nations Climate Change Conference (COP) agreements

-الاستغفار يجلب نزول المطر الذي به حياة الأرض والإنسان:

فالاستغفار الفردي و المجتمعي – مع صلاة الاستسقاء– جالبة للأمطار وازدياد اخضرار الأرض وتقليل التصحر، وهذا ينعكس إيجابيا في التقليل من الاحتباس الحراري، وهكذا يتم ربط استخدام الأسباب المادية المذكورة في النقاط السابقة، مع اعتماد الاستغفار والحث عليه لدى المجتمعات (المجتمعات المسلمة بالطبع).

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: 10– 12]. فالاستغفار في هذه الآية يجلب أنواعاً من العافية، بيئياً واقتصادياً واجتماعياً.

يقول السمرقندي في (بحر العلوم): " ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ يعني: توبوا وارجعوا من ذنوبكم، يعني: الشرك والفواحش. ﴿ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً ﴾ يعني: غفاراً لمن تاب من الشرك. ﴿ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ﴾ يعني: المطر دائماً كلما احتاجوا إليه. ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ ﴾ يعني: يعطيكم أموالاً وأولاداً، ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ يعني: البساتين، ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً ﴾ يعني: في الجنات"[1].

وقال تعالى على لسان هود – عليه السلام: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: 52]. فالاستغفار مع الإقلاع عن الذَّنب سببٌ للخصب والنَّماء وكثْرة الرزق وزيادة العزَّة والمنعة.

يقول ابن كثير – رحمه الله –: " ومَن اتَّصف بهذه الصفة – أي: صفة الاستغفار – يسَّر الله عليه رزقَه، وسهَّل عليه أمرَه، وحفظ عليه شأنه وقوَّته؛ ولهذا قال: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾"[2].

---

[1] – "بحر العلوم"، السمرقندي، 500/3.

[2] – "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير، 2/ 450.

-الاستغفار يجلب عمارة الأرض والاستخلاف فيها:

قال -تعالى- حاكيًا عن نبيه صالح -عليه السلام- أنَّه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: 61]، فوعَد الله مَن استغفَرَه وتابَ إليه بإجابة الدُّعاء، وبعمارة أرضه ومسكنه.

يقول البغوي في (معالم التنزيل): قوله: " ﴿ قالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وَحِّدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ ﴾، ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، ﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾، وَذَلِكَ أنهم مِنْ آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ الْأَرْضِ، ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها ﴾، أَيْ: جَعَلَكُمْ عمّارها وسكّانها... قَالَ مُجَاهِدٌ: أَعْمَرَكُمْ مِنَ الْعُمْرَى، أَيْ: جَعَلَهَا لَكُمْ مَا عِشْتُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَسْكَنَكُمْ فِيهَا. ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿ مُجِيبٌ ﴾ لِدُعَائِهِمْ "[1].

ويقول ابن عطية في (المحرر الوجيز): " ... و﴿ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾، أي: اخترعكم وأوجدكم، وذلك باختراع آدم -عليه السّلام- فكأن إنشاء آدم إنشاء لبنيه. ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴾، أي: اتخذكم عمارا، كما تقول: استكتب واستعمل. وذهب قوم إلى أنها من العُمُر، أي: عَمَّركم،﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾، أي إجابته وغفرانه قريب ممن آمن وأناب، ومُجِيبٌ "[2].

ثالثاً: العافية البدنية.

-الاستغفار يجلب زيادة القوة البدنية:

قال - تعالى - عن هود - عليه السلام - أنَّه قال لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾

[1] - "معالم التنزيل"، البغوي، 454/2.

[2] - "المحرر الوجيز"، ابن عطية، 183/3.

[هود: 52]. بيّنت الآية نوعين من جوالب الاستغفار: نزول المطر كلما احتاجوا إليه، وزيادة القوة– وهي هنا تشمل القوة البدنية والقوة المعنوية.

يقول البغوي – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: " أي: يُرسِل المطر عليكم مُتتابعًا مرَّةً بعد أخرى في أوقات الحاجة، ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: 52]؛ أي: شدَّة مع شدَّتكم، وذلك أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – حبَس عنهم القطر ثلاث سنين، وأعقَمَ أرحام نسائهم، فلم يلدن "[1].

والاستغفار مع الإقلاع عن الذَّنب سببٌ لجلب العافية البدنية وزيادة القوة والعزَّة والمنعة، والخصب والنَّماء. يقول ابن كثير رحمه الله: " ومَن اتَّصف بهذه الصفة – أي: صفة الاستغفار – يسَّر الله عليه رزقَه، وسهَّل عليه أمرَه، وحفظ عليه شأنه وقوَّته؛ ولهذا قال: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ "[2].

ويقول ابن الجوزي في (زاد المسير): قوله تعالى: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الولد وولد الولد، مروي عن ابن عباس. والثاني: يزدكم شدة إلى شدتكم، مروي عن مجاهد،. والثالث: خصباً إلى خصبكم، مروي عن الضحاك[3].

ويقول البيضاوي في (أنوار التنزيل): " ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ ﴾، ويضاعف قوتكم، وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات "[4].

رابعاً: العافية الاقتصادية.

– الاستغفار يجلب المتاع الحسَن في الدُّنيا:

---

[1] – "معالم التنزيل"، البغوي، 1/ 288.

[2] – "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير،2/ 450.

[3] – ينظر: "زاد المسير"، ابن الجوزي، 379/2.

[4] – "أنوار التنزيل"، البيضاوي، 138/3.

قال الله – جل شأنه –: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: 3].

قال الشَّافِعِي رحمه الله: " وقال اللَّه تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ الآية، فوعد الله كل من تاب مستغفراً: التمتع إلى الموت. ثم قال ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ الآية، أي: في الآخرة "[1].

ويقول ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: " أي: وآمُرُكم بالاستغفار من الذنوب السالفة، والتوبة منها إلى الله – عزَّ وجلَّ – فيما تستَقْبِلونه، وأن تستمرُّوا على ذلك: ﴿ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ [هود: 3]؛ أي: في الدنيا ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾؛ أي: في الدار الآخِرة "[2].

–الاستغفار يجْلُبُ الأمن الغذائي:

يقول الله – تعالى – على لِسان نوح – عليه السلام – أنَّه قال لقومه: ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: 9 – 12].

يقول ابن كثيرٍ – رحمه الله –: " أي: إذا تُبتُم إلى الله واستغفرتُموه وأطعتُموه كثُر الرِّزق عليكم، وأسْقاكم من بركات السماء وأنبَتَ لكم من بركات الأرض، وأنبَتَ لكم الزَّرع، وأدرَّ لكم الضَّرع، وأمدَّكم بأموالٍ ... وجعل لكم جنَّات فيها أنواع الثمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها "[3]. كلُّ هذه النِّعَم تُستَجلب بالاستغفار.

–الاستغفار يجلب الرزق:

---

[1] – ينظر: "تفسير الشافعي"، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفرَّان، 970/2.

[2] – "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير، 436/2.

[3] – "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير، 426/4.

قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "[1].

يقول علي بن ملا القاري: " ومن لزِم الِاسْتِغْفَارَ" أي: عند صدور معصية وظهور بلِيَّة، أو من دَاوَمَ عليه فإنَّه في كل نَفَسٍ يحتاج إليه؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " " طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا "، "جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ"، أي: شدَّةٍ وَمِحْنَةٍ " فَرَجًا "، أي: طريقا وسببا يخرج إلى سِعَةٍ وَمِنْحَةٍ، " وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ "، أي: همّ يهمُّه " فَرَجًا "، أي: خلاصا، " وَرَزَقَهُ " أي: حلالا طَيِّبًا " مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ "، أي: لا يَظُنُّ ولا يرجو ولا يَخْطُرُ بِبَالِهِ... والحديث مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا – وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾، فتأمَّل في الآية فإنَّ فيها كنوزا من الأَنوار وَرُمُوزًا من الأسْرَارِ، والحديث إمَّا تَسْلِيَةٌ للمذنبين، فنَزَلوا منزلة المتَّقِين، أو أراد بالمستَغفِرين التَّائِبِينَ، فهم من المتَّقِين، أو لأنَّ الملازمَين للاستغفَار لَمَّا حصل لهم مغفِرة الغفَّارِ، فكأنَّهم من المتَّقِين. قال الطِّيبِيُّ: مَنْ " دَاوَمَ الِاسْتِغْفَارَ " وَأَقَامَ بِحَقِّهِ كان مُتَّقِيًا وَنَاظِرًا إلى قولِه تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ الْآيَةَ[2].

" وروى أن رجلا أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر فقال: ادع الله أن يرزقني ابنا، فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه فقال له: استغفر الله فقلنا أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فقال: ما قلت من ذات نفسي في ذلك شيئا إنّما اعتبرت فيه قول الله سبحانه حكاية عن نبيّه نوح –عليه

[1] – أخرجه أبو داود في "سننه"، 85/2، رقم (1518)، والطبراني في "الأوسط"، 240/6، رقم (6291)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، 211/3، والبيهقي في "السنن الكبرى"، 490/3، رقم (6421). والحديث ضعّفه البغوي في "شرح السنة"، 79/5، رقم (1296)، و الحافظ الذهبي في "تلخيص المستدرك"، 4/ 262.

[2] – " رقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح "، علي بن ملا القاري، 1621/4.

السلام– إنّه قال لقومه: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً ﴾ "[1].

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد، فهذه محاولة متواضعة، أردت من خلالها فتح الباب للبحث في موضوع عظيم الفائدة، واسع المجال، يُعالج ضرورة مُلِحّة في هذا العصر، ألاّ وهي تعزيز وتفعيل مشروع العافية الروحية، النفسية، والمجتمعية، و الاقتصادية، والبيئية، والسياسية، والبدنية، وغيرها من الجوانب التي تحفظ عافية الإنسان في كل جوانب حياته، وتغنيه وتعافيه من الوقوع تحت وطأة أنظمة الرعاية الصحية المعاصرة، التي أرهقته مادياً ونفسياً؛

[1] – "الكشف والبيان"، الثعلبي، 44/10.

لأنّ الإخفاق في تعزيز ما سبق ذكره من أنواع العافية، ينتج عنه مشاكل نفسية وصحية تقوده لتلك المنظومة المُتغَوِّلة.

كلّ ذلك من خلال البحث في الأوامر والنواهي الشرعية، التي بدون شك تجلب له أنواع العافية المنشودة، ويُمكننا في هذه الخاتمة أنْ نُجمل عدداً من النتائج والتوصيات.

النتائج:

1. كل الأوامر والفرائض والواجبات الشرعية جالبة لأنواع كثيرة من العافية في الدين والدنيا.
2. كل النواهي والمحرمات الشرعية سالبة لأنواع كثيرة من العافية في الدين والدنيا.
3. الاستغفار يجلب العديد من أنواع العافية الدينية مثل:
   أ- الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.
   ب- إجابة الدعاء.
   ت- إفساد عمل الشيطان وهلاكه.
   ث- دواء الذنوب.
   ج- صفاء القلب ونقاؤه.
   ح- دخول الجنة.
   خ- النصر والثبات في أرض المعركة.
   د- تخفيف الأحكام والتكاليف الشرعية.
4. الاستغفار يجلب العديد من أنواع العافية الدنيوية مثل:
   أ- **العافية النفسية.**

   - الاستغفار يجْلُبُ انشراح الصدر.

   - الاستغفار يجلب الأمن النفسي.

ب- **العافية البدنية.**

- الاستغفار يجلب زيادة القوة البدنية.

ت- **العافية الاجتماعية.**

- الاستغفار يجلب الحل لمشاكل العُقم، وتأخر الإنجاب.

- الاستغفار يجلب الوقاية من الوقوع في الزنى.

ث- **العافية الاقتصادية.**

- الاستغفار يجلب المتاع الحسَن في الدُّنيا.

- الاستغفار يجْلُبُ الأمن الغذائي.

- الاستغفار يجلب الرزق.

ج- **العافية البيئية.**

- الاستغفار يجلب نزول المطر الذي به حياة الأرض والإنسان.

- الاستغفار يجلب عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

التوصيات:

1. الالتفات إلى موضوع العافية وتعزيزها في حياة الأفراد والمجتمعات، وذلك بالبحث في المقصود بالعافية، وتعلّقها بحياة الإنسان الدينية والدنيوية، وما تجلبه حين تعزيزها من أمن واستقرار فردي ومجتمعي، وقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى المشروع الضخم الذي يقوده الدكتور/ عبد الباسط بوحميدة ورفاقه في هذا الجانب.

2. لعل هذه الدراسة المتواضعة تكون فاتحة لشهية الباحثين بإقامة دراسات مشابهة، وأكثر عمقاً حول الأوامر والنواهي الشرعية المختلفة، وتتبع جوالب وسوالب العافية فيها، مثل:

أ. جوالب العافية في الأمر بالصلاة، وذلك بجمع كل النصوص من الكتاب والسنة الواردة في فريضة الصلاة، وتحليلها وشرحها، وتحديد ما تجلبه من أنواع العافية المختلفة. وهناك مصادر ومراجع تمثل قاعدة بيانات جاهزة في مثل هذه الدراسات منها: (موسوعة التفسير الموضوعي)، إعداد: مجموعة من المتخصّصين، و(الأوامر والنواهي في القرآن الكريم) تصنيف: سامر محمد محمد، و(الأوامر والنواهي)، تأليف: الحسين بن المبارك الموصلي، تحقيق: محمد حسن الشافعي، و(الأوامر العملية في القرآن الكريم)، تصنيف: رامي حنفي محمود، شبكة الألوكة. وغيرها.

ب. جوالب العافية في الأمر بالشورى في قضايا الأمة (العافية السياسية).

ت. سوالب العافية في تحريم الربا، أو الزنا، أو الاختلاط، أو اللواط (المثلية) أو غيرها من المحرمات التي جرَّت على الناس أنواع الأمراض: البدنية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية– التي لم تكن في أسلافهم.

مصادر ومراجع البحث

1– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

2- الإلحاد الروحي على العقيدة والعقل، هيثم طلعت، تبصير لتقريب التراث والرد على الشبهات، القليوبية- مصر، 1440هـ- 2019م.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- البيضاوي- ت: محمد المرعشلي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1، 1418هـ.

4- الأوامر والنواهي في القرآن الكريم، سامر محمد محمد، دار الهادي ، دار الزاهر. ط1، 2009م 1430هـ.

5- الأوامر والنواهي، الحسين بن المبارك الموصلي، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ- 1998م.

6- البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي- ت: صدقي جميل- دار الفكر- بيروت- 1420هـ

7- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، بدون تاريخ.

8- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

9- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ت: سامي سلامة- دار طيبة- ط2، 1420هـ.

– تفسير الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفرَّان، رسالة دكتوراه، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية

ط1: ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م

10- التنوير شرح الجامع الصغير، الأمير الصنعاني، تحقيق: محمَّد إسحاق إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

11- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.

12- جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير- ت: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ط1- 1420 هـ.

13- الجامع المسند الصحيح - أبو عبدالله البخاري- ت: محمد زهير- دار طوق النجاة- ط1، 1422هـ.

14- الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله القرطبي- ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية - القاهرة- ط2، 1384هـ.

15- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة - المغرب، ط1، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

16- حديث " يا رسول الله، ائذن لي بالزنا "، عبد الرحمن الدوسري، مقال بموقع الألوكة، بتاريخ: 1437/7/179 هجري، /2016/4 ميلادي.

17- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم الأصبهاني- دار السعادة - بجوار محافظة مصر- 1394هـ

18- الخطط التوفيقية الجديدة، علي مبارك، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط1، 1306هـ.

19- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي الحموي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

20- الدعاء، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤١٣هـ.

21- زاد المسير- ابن الجوزي- ت: عبد الرزاق المهدي- : دار الكتاب العربي – بيروت- ط1، 1422هـ.

22- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

23- السراج المنير شرح الجامع الصغير، علي بن أحمد العزيزي، إعداد: فريق رابطة النساخ برعاية، مركز النخب العلمية، بدون تاريخ.

24- سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، 1376هـ- 1957م.

25- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ.

26- سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ.

27- سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ.

28- السنن الكبرى- أبو بكر البيهقي- ت: عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات- ط3، 1424هـ.

29- شرح السنة- أبو محمد البغوي- ت: شعيب الأرنؤوط –محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت- ط2، 1403هـ.

30- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

31- صحيح ابن حبان - أبو حاتم البُستي- ت: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة - بيروت- ط2، 1414هـ.

32- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج- ت: فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

33- غرائب القرآن ورغائب الفرقان- نظام الدين النيسابوري- ت: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية - بيروت- ط1، 1416هـ.

34- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، ١٣٩٧هـ.

35- فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر العسقلاني- المطبعة الكبرى بولاق- ط1، 1300هـ.

36- فتح القدير- الشوكاني- دار ابن كثير - دمشق - ط1، 1414هـ.

37- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علان الصديقي الشافعي، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، بدون تاريخ.

38- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

39- الكشف والبيان- أبو إسحاق الثعلبي- ت: أبو محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط1، 1422هـ.

40- المحرر الوجيز- ابن عطية- ت: عبد السلام عبد الشافي- : دار الكتب العلمية – بيروت- ط1، 1422هـ.

41- مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه، محمد الأمين الهَرَري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.

42- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن ملا القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

43- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

44- مسند الإمام أحمد- ت: أحمد شاكر- دار الحديث القاهرة- ط1، 1416هـ.

45- معالم التنزيل- أبو محمد البغوي- ت: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1، 1420هـ.

46- المعجم الأوسط – أبو القاسم الطبراني- ت: طارق عوض الله وآخرون- دار الحرمين – القاهرة.

47- المعجم الكبير- أبو القاسم الطبراني- ت: حمدي بن عبد المجيد- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- ط2. 1376هـ.

48- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية- بالقاهرة- دار الدعوة- القاهرة.

49- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن قائد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

50- موسوعة التفسير الموضوعي، إعداد مجموعة من المختصين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1440هـ-2019 م.

51- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول- الحكيم الترمذي- ت: توفيق محمد تكلة- دار النوادر- ط1، 1431هـ.

المواقع الإلكترونية:

1- موقع (مع الله) https://maa-allah.com.

2- موقع صيد الفوائد، http://saaid.org/rasael/643.htm .

3- موقع (مايو كلينك) https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/male

infertility/symptoms-causes/syc-20374773-

المصادر الأجنبية:

1-Greenhouse Gasses: Causes, Sources and Environmental Effects", www.livescience.com Retrieved 18-5-2019. Edited

2-Global Carbon Project: https://www.globalcarbonproject.org

Intergovernmental Panel on Climate Change (IPCC):
•https://www.ipcc.ch

•World Resources Institute (WRI): https://www.wri.org

• International Energy Agency (IEA): https://www.iea.org/

−3 IPCC Special Report on Renewable Energy Sources and Climate Change Mitigation

International Energy Agency (IEA) Energy Efficiency 2021 •report

•World Bank, Carbon Pricing Dashboard

•UNFCCC REDD+ mechanism

•FAO report on Climate Change and Food Security

•ITF Transport Outlook report

•IPCC Special Report on Carbon Capture and Storage

• United Nations Climate Change Conference (COP) agreements